صوت دمشقيّ في أمستردام:

ها أنا أطلّ عليك من جديد، في مقالة جديدة، الجيد بالنسبة لي أن لا دموع فيها، بل فيها الكثير من الأمل و الحماس القادم من الغد،

بعد قطعتي الثانية، تواصل معي الكثير من الأشخاص، ومن جنسيات مختلفة، ومهن مختلفة أيضاً، منهم من عرض عليّ المساعدة، ومنهم من أراد دعمي برسائل لطيفة جدا، ومنهم من اعتقد أنني أكتب عن تجربتي للاستعطاف أو أخذ المال وفقط !.

خرجت من مدينتي هارليم، لأزور باقي المدن الهولندية و أقابل الناس هناك، الجميع أراد أن يرى تلك القادمة الجديدة.... الفتاة التي تجرأت و طرحت خطتها أ بعد عام و أربعة شهور من وجودها في هولندا.

وفي شارع قريب من محطة امستردام سمعت صوتا للمطربة العربية الشهيرة فيروز،

المكان: مطعم سوريّ الطابع

الزمان: سنة 2017

كان صديقنا المشترك محمد قد أصبح شريكاً في المطعم بعد 3 سنوات عاشها هنا في هولندا، أنهى دراسة اللغة و بدأ مشروعه الاقتصادي بمشاركة سوري قديم في هولندا، محمد الذي تجاوز ذاكرته الممتلئة بالهموم و الحزن عن بلده سوريا ... بلده التي فقدها فجأة، استطاع البدء من جديد بعد 3 سنوات "أقساها هي الأولى" حسب ما قال لي.

موسيقى عربية تحتلّ المسامات و تفرض عليّ أن أقف، دخلت مع أصدقائي إلى المكان، استطاع أخيراً أن يجد أمانه الاقتصادي، في مكان تصميمه سوري، أنواع الأطعمة سورية أشهرها طبق المطعم الرئيسي "قمر الشام"، سألت محمد يومها لماذا أطلق اسم الشم على طبقه الرئيسي فأجابني "لأن الشام ستبقى داخلنا نحن السوريين".

اعتدنا في بلادنا أن نشبّه الأشياء الجميلة بالقمر، بينما يشبّهها الأوربيون بالشمس، ربما لأن بلادنا حارّة والشمس فيها ضيف ثقيل،

أكّد لي محمد يومها حفاظه على الطريقة السورية في تحضير الطعام، و أنه يعيش في سوريا ضمن امستردام.

زبائن المطعم غالبيتهم من الهولنديين حسب ما أخبرني، وقد أحبّوا مذاق أكلات مطعمه.

ودّعته يومها، بابتسامة مطمئنّة "أن الغد يمكن له أن يكون أجمل في هذه البلاد".

ها هو محمد قد وصل للاندماج الاقتصادي، وترك الطابع السوري يطغى على حياته، ربما كان يحاول إمساك عصى الإندماج السحرية من المنتصف! فهل هذا كافيا للاندماج الكلي؟

<u>إلى روتردام ... بحثاً عن الإندماج الكلّي</u>

صديقي الجديد، القادم من دبي ليفتح مشروعه الثقافي في هولندا، art café

حافظ المكان على الطابع الشرقي، ملامح وجهه كانت تؤكد للحاضرين "غالبيتهم من السوريين" أننا لانزال هنا، وأن السوري يبحث عن الحياة، بكامل ثقافته و ما خزّنت ذاكرته من معارف، كان تحدياً كبيراً أن تحكي تاريخك لمجتمع بأكمله، أن تترجم الشعر والأغاني إلى الهولندية لتشارك الحاضرين فيها، تابعت نظرات الحاضرين من السوريين و غالبيتهم ممن قدموا مؤخرا إلى هولندا، كنّا نؤكّد لأنفسنا جميعاً أننا مجتمع صغير ضمن مجتمع أكبر، لايزال يبكي عند سماع أغنية تحكي عن الغربة، أذكر أنني صفّقت يومها بقوّة لشاعر هولندي قرأ علينا شعراً لشكسبير، حقيقة لم أفهم نصف ما قال، لكنني صدّقت حماسه بمشاركتنا ما يحب.

هل يمكن أن نعتبر ذلك اندماجا واعياً و كاملاً؟ لك أن تساعدني في التفكير في هذا السؤال،

<u>زفاف على الطريقة السورية و بتوقيت هولندي:</u>

في زحمة مواعيدي الجديدة، و عملي المتواصل لأصل إلى صيغة نهائية لخطتي" أ " كان لابد أن أساعد صديقتي في ترتيبات زواجها، حيث قررت الزواج هنا في هولندا بعيدا عن أهلها و أهل زوجها، محاطين ببعض الأصدقاء،

الطعام المقدّم في الحفل سوف يكون سورياً، الأغاني سورية، الضيوف "نصفهم سوري و الآخر

هولندي، و توقيت الزفاف هولندي صرف.

فكّرت كثيراً، كيف لي أن أخفف غصّة الغربة عن صديقتي في يوم زفافها وأن آخذ بعين الاعتبار أننا في هولندا، هل يجب أن يكون حفل زفافها سورياً قريباً للهولندي؟ أم العكس؟

إن قررت الحياة... إبدأ بالعمل أولاً:

يمرّ اللاجئ بمراحل عديدة حتى يصل إلى الصيغة النهائية لوجوده على أرض مختلفة عن بلد، تبدأ بالإنبهار الحضاري، ثم الإستئصال الثقافي حيث يشعر أن تاريخه و خبراته لا فائدة منها، ثم يدخل في مرحلة الحنين إلى الوطن ليحدد هويته بعد أن يشعر أنه أدنى من المُضيف له، ثم يبتكر أساليب دفاعية أولية مثل العزلة في مجتمعات مشابهة له، أو الإنكار و تحميل البلد المضيف كلّ الفشل المحتمل، فكلّنا نفشل حتى في بلادنا، ومنّا من يعيش ضمن العالم الافتراضي، ليبني صداقاته و علاقاته هناك، حيث لا فرق بين لاجئ ومواطن أصلي.

و ها نحن هنا، نجتمع في مكان دمشقي الطابع، تحت سقف هولندية، ملامحنا سوريّة، أحلامنا هولندية، لا نمتلك خطوات واضحة للإندماج الفاعل، لا نعلم سوى ما تمليه علينا القوانين الناظمة لهذا المجتمع، محاطين بالكثير من الهولنديين الطيبين، لكنّ شعوراً واحداً وجامعاً بيننا

نحن الضيوف الغير عارفين مدى طول إقامتنا، هل علينا أن ننصهر في المجتمع ؟ أم نندمج و نحافظ على هويتنا التي نعرفها؟ هل تعلّم اللغة و إيجاد عمل هو مفتاح للاندماج الفاعل الذي يمكن له أن يرضي بقائنا هنا ؟ و هل هذا يستطيع أن يبني لنا ذاكرة تضاهي ذاكرتنا في بلدنا الأم؟

الإندماج التثاقفي و الأثر :

مطعم صديقي محمد وثقافة تقديم الطعام السورية و اسم طبقه المفضّل "قمر الشام"، الأغاني و الشعر، الفن و الموسيقى، الأمن الإقتصادي و العلمي، زفاف صديقتي ذو الطابع "الأوروبي السوري"، رسوم الجدران في مشروع صديقي السوري القادم من الشرق إلى الغرب، مدى الأثر الذي سوف نتركه إن غادرنا هذه البلاد يوما ما وعدنا إلى موطننا الأصلي، مدى الأثر الذي سوف تتركه حضارة هولندا فينا حين نعود،

و إن لم نعد! أيّ نوع من الإندماج الذي يمكن أن يضمن الإنفتاح على كل ما هو جديد و مفيد، و أن أتبادله معك كمُضيف كريم. كل هذا و أكثر هو خطتي" أ "

دعني أهمس لك بما أفكر

تخيّل أن هناك من زارك في منزلك فجأة، و أنت مجبر على استضافته، لا تعرف منه سوى اسمه و رقم بطاقة تعريفه، هل أول ما يخطر في بالك أن تعلّمه اللغة ! أو تجد له عملاً بأسرع وقت!

لو كنت مكانك لما فعلت ذلك... كنت سوف أبدأ بسؤاله عن عمله السابق، تاريخه، أهله، سوف أهتمّ وقتها بأن أعرف كيف يفكّر، كي أضمن احتمال عيشنا معاً لفترة جيدة و هادئة، و من ثمّ سوف انتقل لترتيب إقامته لوجستياً ومنها تعليمه اللغة، و إيجاد عمل يضمن عدم تكفّلي بمصاريف

إقامته،

إن أردنا أن نعمل على الإندماج التثاقفي في العمق، علينا ألّا نثق بدوائر المياه التي يحدثها الحصو في المياه الراكدة، فهي لن تصل أبدا إلى العمق.

الهويّة السلبيّة:

أثناء تسجيلي المقابلات مع لاجئين قدامى هنا تحضيراً لخطتي" أ" ، لاحظت عيش بعضهم كجماعات مغلقة، منهم من اختار صداقاته على أساس الدين أو العرق، ومنهم من ذاب في المجتمع الجديد مبتعداً كليًّا عن تاريخه، البعض الآخر ممن قدموا منذ اربع أو خمس سنوات، خلق عالمه الخاص في وسائل التواصل الاجتماعية و اكتفى بذلك، وتحوّل مع الوقت لريبوت ينفّذ ما يملى عليه، و غاب لديه حسّ الابتكار.

لكلّ منّا تاريخ غني، تتقدّم أوروبا بأنها تمتلك المقوّمات التي جعلت من حضارتها داعماً لشعوبها، و هذا ما نفتقره نحن، كشعوب العالم الثالث.

إن عدت إلى بلدي، سوف أحمل معي جوانب رائعة من هنا، كالعامل التكافلي، و التطوعي، و نمط المشاركة الإجتماعية الرائع، المجتمع المدني و أهميته في التطور، و غيرها...

و في المقابل، لا بد أن أترك أثرا جيداً هنا، كأن أترك هذا المقال، أو كتاباً مترجماً، ولاجئ غيري يعمل على ترميم صرح حضاري جميل هنا، أو يترك غيره أغنية أو معرضا فنياً،

ربما يكون الأمر أبسط من ذلك بكثير ، يكفيني أن أترك ابتسامة صباحية لجاري المتقاعد الذي يسكن في البيت المقابل لبيتي.

عندها فقط سأكون قد أنجزت خطتي" أ ".